ثقافة التعايش والتسامح السلمي
في القرآن الكريم
(دراسة تفسيرية)

د. عباس عبد الحسن سرحان الهلالي
الكلية التربوية المفتوحة – وزارة التربية
جمهورية العراق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أبي القاسم محمد (8) وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المخلصين إلى يوم الدين.

من دواعي اختياري لموضوع البحث ما تمرّ به الأمة الإسلامية من انقسامات وخلافات وصلت إلى مرحلة خطيرة وهي أن يكفر بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً من غير أي دليل بل بمخالفة القرآن والسُنّة النبوية الشريفة, قال تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾[1], وقال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[2], فالقرآن الكريم واضح في دعواه للسلم وعدم التحريض على العنف والدعوة إلى التعايش السلمي والتسامح, ولكن الأمة في القرن العشرين انحرفت وزاد انحرافها وقد أدى إلى نتيجة سلبية لا يُحمد عقباها بحيث أُبيح دم المسلم من غير ضابطة شرعية, وقد ورد في السُنّة النبوية أن من نطق الشهادتين حرم دمه وماله وعرضه كما في الحديث عن النبي (8): (من شهد ان لا اله إلا الله محمد رسول الله حصن دمه وماله وعرضه) [3].

(1) سورة الروم, آية 44.
(2) سورة البقرة, آية 256.
(3) صحيح مسلم, مسلم بن الحجاج, ص501.

وقد ورد في رواية أسامة بن زيد قال: (بعثنا رسول الله (8) إلى أناس من جهينة فأتيت إلى رجل منهم فذهبت اطعنه فقال لا اله إلا الله فطعنته وقتلته, فجئت إلى النبي (8) فأخبرته, فقال : أقتلته وقد شهد ان لا اله إلا الله, قلت: يا رسول الله إنما فعلت ذلك تعوذ لما رأى السلاح, فقال: هلا شققت قلبه) [1].

مما تقدم تبرز أهمية الموضوع وما نحن به من وضع ان نعودَ إلى الله ونراجع أدلتنا وشريعتنا مما نحن فيه من خطأ أدى بنا إلى تمزيق وحدة الإسلام والمسلمين, وضعف هذه الأمة التي وصفها الله تعالى انها أفضل امة أخرجت للناس, بقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[2].

وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة وأربعة مباحث, المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث, اما المبحث الثاني: التعايش والتسامح الأخلاقي بين المسلمين في القرآن الكريم, وجاء المبحث الثالث بعنوان : التعايش السلمي والتسامح بين المسلمين وغيرهم في ضوء نصوص القرآن الكريم, بينما خصص المبحث الرابع لأسس التعايش السلمي والتسامح وأثره في المجتمع .

وفي الختام ذكرت أهم النتائج والتوصيات ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه , وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول : التعريف بمصطلحات البحث

الثقافة لغة واصطلاحاً

الثقافة لغةً: من ثقَفَ , ثقفاً وثقافةً, أي طعنَ وغَلَبَهُ في الحذق.

وثُقُفَ – ثقفاً وثقافة أي صارَ حاذقاً وتعلّمَ سريعاً, والثقف الحاذق المدرك المتعلم[3], وثقّف الرجل أي صارَ أي صادقاً فطناً[4].

(1) شرح رياض الصالحين, محمد إلياس, حديث 142, ج4, ص393.
(2) سورة آل عمران , آية 110.
(3) ظ: المعجم الوسيط, محمد مصطفى, ج1, ص141.
(4) مختار الصحاح, ص301, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي, الناشر محمد محمد تامر.

ومما تقدم نجد ان أصل الثقافة مأخوذ من الفعل (ثُقُف) و(ثَقَف), وتوحي كلمة الثقافة في اللغة بعدة معاني منها الفطنة والذكاء والتهذيب وضبط العلم وسرعة التعلم, ويقال قديماً: غلام ثقف أي ذو فطنة[1].

الثقافة اصطلاحاً: هي مجموعة من العادات والأفكار التي يكتسبها الفرد من مجتمعه, وتختلف ثقافة كل مجتمع عن الآخر, وتعرف أيضاً الثقافة من علما أخر: انها الكل المركب الذي يحتوي على الفنون والعقائد والأخلاق[2].

وعلى هذا المفهوم يمكن اعتبار الثقافة هي رقي العقل والفهم والزيادة في الإدراك على باب أوسع بحيث يمكن استيعاب الكثير من المشاكل التي تعترض التفكير والخروج من خلالها بحلول سليمة منصفة للجميع تدعمها قيم الإنسانية والمحبة التي تؤدي بدورها إلى خلق مجتمع متسامح ومتطور ونامي بكل مفاهيمه.

التعايش لغة واصطلاحاً

التعايش لغة: مصدر تعايش تعايشاً, ويأتي التعايش في اللغة بمعنى العيش على الألفة والمودة وتعايش الناس, إذا وجدوا في المكان والزمان نفسيهما, والتعايش أيضاً مجتمع تبتعد طوائفه ويعيشون فيما بينهم بانسجام وثقة ووئام, على الرغم من أنهم مختلفون من حيث المذاهب أو الأديان أو الفئات, والتعايش السلمي يعني وجود بيئة يسودها التفاهم بين فئات المجتمع الواحد بعيداً عن الحروب أو العنف[3].

التعايش اصطلاحاً: هو اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى, يعرف أو يحترم كل منهما حق الآخر دون اندماج أو انصهار تسودهم المحبة والالفة[4].

والتعايش السلمي: تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيداً عن الحرب والعنف[5].

التسامح لغة واصطلاحاً

التسامح لغة: أي تساهل وغفر عن هفوة[6], وأصل التسامح من الفعل سَمَحَ وهو مفهوم يعني العفو عند المقدرة وعدم ردّ الإساءة والترفع عن الصغائر, والسمو بالنفس إلى مرتبة أخلاقية عالية فهو مفهوم أخلاقي اجتماعي دعا إليه كافة

(1) المصدر نفسه.
(2) ظ: دائرة معارف القرن العشرين, ج3, ص110.
(3) ظ: المعجم الوسيط, د. مصطفى محمد, ج1, ص119 , دار احياء التراث العربي, لبنان – بيروت, ط1, 2008م.
(4) التعريفات, الجرجاني, ص19.
(5) المصدر نفسه.
(6) المعجم الوسيط, د. مصطفى محمد, ج1, ص114.

الرسل والأنبياء والمصلحين لما له من أهمية كبرى في تحقيق وحدة وتماسك المجتمعات والقضاء على الخلافات بين الأفراد والجماعات[1].

التسامح اصطلاحاً: يكون بمعنى من معاني السماحة, أي التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك تسيير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر[2].

ويعد التسامح من المصطلحات الفكرية التي يستخدم في السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية لوصف مواقف واتجاهات تتسم بالتسامح, ومن الناحية العلمية يعبر لفظ التسامح عن دعم تلك الممارسات والافعال من غير تمييز عرقي أو ديني, وهذا بدوره يؤدي إلى حياة مليئة بالأمان والاستقرار بعيد عن سبل العنف والعدوانية وهذا ما يسعى له دين الإنسانية وروابط القيم التي ينبغي ان يمثل له كل إنسان.

القرآن لغة واصطلاحاً

القرآن لغة: المشهور بين العلماء في تعريفه انه مصدر من الفعل (قرأ), يقال يقرأ قراءة وقرآناً, ثم نقل عن المعنى المصدري أسماً لكتاب الله المنزل على النبي محمد (8) فصار اسماً له كالعلم وكالتوراة لما انزل على موسى (X), والإنجيل على عيسى (X)[3].

والقُرء: هو الجمع ومنها قوله قرأتُ القرآن أو الكتاب, أي جمعته, وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع ويضم بعضها لبعض, ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾[4].

(1) ظ: التسامح المؤشرات والمفهوم, عبد الحسين شعبان, ص3-4, مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان.
(2) المصدر نفسه, ص5.
(3) ظ: لسان العرب, ابن منظور, تحقيق عامر احمد, ج13, ص201 ؛ ظ: المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى , احمد حسن الزيات, ج1, ص164؛ ظ: القاموس المحيط , الفيروز آبادي, ج1, ص24 ؛ ظ: المفردات غريب القرآن , الراغب الأصفهاني, ص402.
(4) سورة القيامة, آية 17 .

ولفظ (القرآن) عند ابن كثير فهو لحظ بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الراء الساكنة قبلها, فهو عنده على وزن (فِعال) من القرن, وعلى قراءة ابن كثير سمي القرآن قرآناً لأن سوره قَرَنَ بعضها ببعض[1].

القرآن اصطلاحاً: فهو وحي الله تعالى النازل على النبي محمد (8) بلفظه ومعناه المنقول لنا بالتواتر.

وبعضهم يزيد على ها التعريف قيوداً أخرى مثل المكتوب بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس[2].

المبحث الثاني: التعايش والتسامح الأخلاقي بين المسلمين في القرآن الكريم

أكد الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم وسُنّة نبيه الكريم محمد (8) على قواعد الإنسانية التي يجب ان يتمسك بها المسلمين من اجل العيش في حياة سعيدة تنعم بالرفاه والطمأنينة والاستقرار.

وان الاختلاف بين المسلمين في الأصول والفروع يجب ان لا يؤدي إلى الفرقة والتناحر بينهم, لأن هناك مشتركات أساسية تربط بينهم في دينهم الذي آمنوا به فهم أهل كتاب واحد وشهادةً واحدة وقِبْلة واحدة, وهذا يكفي للتعايش والتسامح السلمي بينهم, قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[3], فعموم الآية تؤكد على وحدة الأمة ووجوب تماسكها والامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى وعبادته, والأمة جماعة من الناس يجمعها مقصد واحد, فأمة محمد (8) يجمعها الإسلام, والمراد بالأمة هنا النوع الإنساني, وبما ان الأمة واحدة فلها رب واحد, وقد جعل الله لها نظاماً واحداً فلا معنى ان يختلف الإنسان في معنى الربوبية[4], وهذا بدوره يؤدي إلى الاختلاف والفرقة, فعلينا التمسك بالمنهج الذي امرنا الله سبحانه وتعالى به حتى تصنع أمة قوية متماسكة بأفرادها قادرة على مواجهة التحديات التي تحاول النيل منها.

(1) ظ: مناهل العرفان في علوم القرآن, محمد الزرقاني, ج1, ص79.
(2) موجز علوم القرآن, داود العطار, ص18.
(3) سورة الأنبياء, آية 92.
(4) مختصر تفسير الميزان, السيد الطباطبائي, ص391.

ومن صور التعايش السلمي والتسامح الكريم بين المسلمين ما ذكره جلّ جلاله في قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً**﴾[1], فقد اسماهم جلّ وعلا تكريماً لهم بالعباد, أي اختص بالمؤمنين عن غيرهم, فهم يمشون على الأرض متذللين غير متبخترين أو متكبرين لأنه تعالى لا يحب المتكبر[2], وقد وصف عامة الناس بالعبيد ولم يقل عنهم عباد كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[3], فوصف المؤمنين بالعباد يشعر بروح التعاون والتسامح والمحبة فيما بينهم وهذا ما يدعوا له الشرع المقدس.

ومما يدلّ على رقي أخلاقهم أنهم لم يقابلوا الإساءة بالإساءة ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً**﴾, أي خاطبهم الجاهلون بما يكرهون فيقولون لهم قولاً خالياً من اللغو والإثم فلا يقابلون الجهل بالجهل, بل يقابلون الإساءة بالإحسان وهذه هي أخلاق المؤمنون الذين اقتدوا بالنبي (8) وعترته وأصحابه الميامين.

التعايش السلمي والتسامح في الأسرة في ضوء القرآن الكريم

الأسرة هي النواة الرئيسة في بناء المجتمع لأن المجتمع بطبيعته يتكون من مجموعة من الأسر لذا فإن الإسلام اهتم في بناءها وفق أسس صحيحة من اجل النهوض بها لأنها تمثل ذلك المجتمع الذي يجب أن يكون قوياً لذا اكد الله سبحانه وتعالى في كثير من النصوص القرآنية على وجوب الحفاظ على حقوق أفرادها, فأكدّ أولاً على وجوب احترام الوالدين بقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ! وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾[4].

فقد أمر الله تعالى بوجوب إطاعة الوالدين وعدم إزعاجهما أو إغضابهما وحتى بأبسط الأعمال وهو أن تقول لها (أف) وقرن هذا الأمر مباشرة بعد أمر العباد بعبادته لأهميته, وكان دائماً يكرر في آياته هذا الأمر بعد الأمر بعبادته في آية أخرى , قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾[5].

(1) سورة الفرقان, آية 63.
(2) ظ: الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, ج13, ص68 ؛ مختصر الميزان في تفسير القرآن, الطباطبائي, ص427.
(3) سورة فصلت, آية 46.
(4) سورة الإسراء, الآيتان 23-24.
(5) سورة النساء, آية 36.

وكذلك يمكن الإفادة من النصوص القرآنية التي تأمر بطاعة الوالدين بوجوب الاعتراف بالنعم والشكر لله على النعم باعتباره المنعم الأول علينا جميعاً ولا يمكن عدّ أو إحصاء تلك النعم التي أنعم به علينا.

وقال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[1].

نلاحظ أن الرحمن قال في العلاقة الزوجية ومن آياته وهذا الأمر غالباً ما يستعمله في دلائل قدرته وعظمته, ولأهمية هذا العلاقة يصفه بهذه العظمة وجعل فيها حقوقاً لكل من الزوج والزوجة ينبغي احترامها وأمرنا الله بحسن العشرة ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[2], فجعل الأساس في اجتماع الزوجين حسن العشرة بينهما وهو أساس المسؤولية والأساس الذي يضمن لنا أساس المودة والرحمة والتعايش الذي به يتحقق الوفاق, وقال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[3], وهي المعاشرة والصحبة الجميلة, فيعاشر زوجته باللطف واللين والبشاشة فإذا غضبت يرضيها ولا يسخط منها ويعينها في خدمة بيتها ويأمرها بفعل الواجبات وينهاها عن المحرمات ولا يكلفها ما لا تطيق ويحفظ كرامتها وكرامة أهلها ولا يمنعها منهم[4].

وكذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى من اجل ان يعم التعايش والتسامح بين المسلمين بصلة الرحم ووجوب وصلها وعد قطعها, قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ! أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[7].

(1) سورة الروم, آية 21.
(2) سورة النساء, آية 19.
(3) سورة البقرة, آية 228.
(4) ظ: زاد المسير في علم التفسير, ابن الجوزي, ج1,. ص20
(5) سورة محمد, الآيتان 22-23.
(6) سورة النساء, آية 1 .
(7) سورة الرعد, آية 25.

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾[1].

فالملاحظ أن الآيات قرنت أمر قطع الرحم بالإفساد في الأرض وقد بينت عقوقهم بأن الله سوف يعمي أبصارهم ويجعل سمعهم أصم لعدم سماعهم المواعظ في الدنيا والحجج والإرشاد في مواصلتهم, على نقيض الحواس الذين يحثون ربهم الذين يصلون أرحامهم فهم يخافون سوء الحساب[2].

أسلوب الحوار في القرآن الكريم

لقد دعى القرآن الكريم في كثير من نصوصه إلى السماحة واللين في حوار المسلمين فيما بينهم, وقد كانت أول خطاباته مع نبيه الأكرم محمد (8) بقوله تعالى : ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[3].

فهنا عموم الآية تدعو إلى اللين والسماحة بالتعامل مع عموم الناس مسلمين وغيرهم, وإن هذا الأسلوب الذي امتاز به نبي الرحمة محمد (8) كان سبباً في دخول اغلب المشركين إلى دين الإسلام, وقد ذكر من تفسير هذه الآية انه برحمة الله جعل النبي (8) يلين لهم مع اعتراضهم بأنه اوردهم الهلاك ولو كنت قاسياً فض القلب لانفضوا من حولك وتفرقوا عنك, ثم أمر الله نبيه ان لا يرتب على أفعالهم اثر المعصية وان يعفوا عنهم ويغفر لمن تاب منهم[4].

وكذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بالدعوة الحسنة والأسلوب اللين والموعظة, قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[5].

فقد شرّع الله سبحانه وتعالى طرقاً لنجاح الدعوة الحكمة اولها, والحكمة هي الحُجة التي تُنتج الحق الذي لا مرية فيه, والموعظة في البيان الذي تسكن به النفس, ويرق له القلب لما فيه صلاح السامع ومحمود الأثر, والجدال هو الحجة التي تفتل الخصم عمّا يصرّ عليه دون ان يراد بذلك ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتلقاه من حجة فيجب

(1) سورة الرعد: آية 21.
(2) جامع البيان في تأويل القرآن, الطبري, ص220.
(3) سورة آل عمران: آية 159.
(4) ظ: تفسير العياشي, العياشي, ص229 ؛ مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص93 .
(5) سورة النحل: آية 125.

التحرز من زيادة تهيج الخصام والعناد وسوق الخصم للمكابرة واستخدام المقدمات الكاذبة والازدراء بالخصم بما يقدسه من الاعتقاد بالسب والشتم[1].

هذه أخلاق القرآن التي تجسدت في شخصية النبي محمد (8) الذي وصفه ربّ العزة بالخلق وتمام الخلق بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2].

وقد سبق هذا الأسلوب في الدعوة الحسنة النبي محمد (8), كما في مخاطبة موسى (X) إذ أمره بمخاطبة فرعون بأسلوب لين على الرغم من تسلطه وتجبره وادعاءه الربوبية, قال تعالى: ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى! فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[3], أي انه طغى وتجاوز الحد ولكن بأسلوب لين دون خشونة[4].

فهنا الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء وعلى جميع خلقه وهو اعلم بطغيان فرعون وعناده وما هو عليه من استكبار, ويأمر نبيه موسى (X) صفوة خلقه وكليمه بالأسلوب والكلام اللين مع فرعون, لعلّ هذا يجدي به نفعاً وهو في نفس الوقت إلقاء للحجة على فرعون ومن تبعه.

التعايش السلمي والتحاور عند أهل البيت (Γ)

كان أئمة أهل البيت (Γ) يعيشون في وسط هذه الأمة ويجتمع اليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات, ويحضرون مجالسهم ويأخذون منهم العلم, ولو أحصينا أهل العلم أو العلماء الذين اخذوا العلم من الإمام محمد الباقر (X) أو الإمام جعفر الصادق (X) لوجدناهم أمة كبيرة من أهل العلم, وكانت مجالسهم ومحاضراتهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي الشريف وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد, وهي تعبر وتدلّ على حالة الانفتاح والتعايش المذهبي السلمي الايجابي مع كل الاتجاهات الفكرية والمذاهب الإسلامية.

وفي أحاديث أهل البيت (Γ) دعوة واضحة وصريحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين كافة والتعايش الايجابي والتواصل والتعاون فيما بينهم[5].

(1) مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص334.
(2) سورة القلم: آية 4.
(3) سورة طه: آية 43-44.
(4) ظ: تفسير العياشي, العياشي, ج1, ص215.
(5) مشروع الوحدة الإسلامية, الاصفي, ص49.

ونذكر قول الإمام جعفر الصادق (X) في هذا المجال قال: (أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود, وحسن الجوار, فبهذا جاء محمد (8) , وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً, وأن رسول الله (8) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط, صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم, وعودوا مرضاهم, وأدوا حقوقهم, فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة, وحسن خلقه مع الناس, قيل هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل عليَّ منه السرور, وقيل هذا أدب جعفر, وإذا كان على غير ذلك, دخل عليَّ بلاءه وعاره, وقيل هذا أدب جعفر, والله يحدثني أبي (X) ان الرجل يكون في القبيلة من شيعة علي فيكون زمنها تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان أنه أدى الأمانة وأصدقنا الحديث) [1].

التعايش والتعاطي العلمي بين المذاهب الإسلامية

ونسلط الضوء في هذا الموضوع على التعاطي العلمي بين مختلف المذاهب على الرغم من اختلافهم في بعض الأصول والفروع.

أن الدراسة العلمية والموضوعية بموضوع الخلاف بين المذاهب الإسلامية في الفقه والأصول والعقائد من عوامل التفاهم والتقارب والتعاطي العلمي, وليس من عوامل الاختلاف والتناحر أو التنابز, وقد أدت هذه الأبحاث في المسائل الخلافية إلى التقارب بين المذاهب في كتاباتهم ومؤلفاتهم, فنجد الدراسات لديهم منها أخلاقية ومنها ما هي مقارنة , فمثلاً هناك فقه الخلاف مثل موسوعة (ما وراء الفقه) للسيد محمد صادق الصدر, وموسوعة الشيخ أبو جعفر الطوسي (Σ) في كتابه (الخلاف), وهناك جهد آخر في الفقه المقارن مثل موسوعة العلامة الحلي (تذكرة الفقهاء), وقد درّس الشيخ البروجردي (Σ) (الفقه المقارن) و(الفقه الخلافي)[2].

لقد كان بين فقهاء المسلمين وعلمائهم تعاطي واسع في مواضع الخلاف الفكري والفقهي والاصولي والعقائدي, فكان يحضر فقهاء أهل السُنّة عند ائمة أهل الشيعة وعلمائهم, وعلى العكس كان يحضر علماء الشيعة عند فقهاء وعلماء أهل السنة.

(1) وسائل الشيعة, ج8, ص398.
(2) ظ: مشروع الوحدة الإسلامية, الاصفي, ص336.

وقد حضر أبو حنيفة النعمان بن ثابت عند الإمام الصادق (X) سنتين اشتهر عنه انه كان يقول (لولا السنتان لهلك النعمان), كما حضر مالك بن أنس في المدينة عند الإمام الصادق (X), وكان الإمام يوليه اهتماماً خاصاً, لذا نجد ان في كتاب مالك (الموطأ) أربعون رواية عن أئمة أهل البيت (Γ) وبعضها عن الإمام جعفر الصادق (X) مباشرة[1].

ومن فقهاء الإمامية من حضر علماء أهل السُنّة كالشيخ المفيد (Σ), إذ حضر عند كبار علماء وفقهاء أهل السُنّة ومنهم أبو ياسر مولى أبي الخنيس وعلي بن يونس الرماني (ت384هـ), كذلك حضر السيد الشريف المرتضى (Σ) عند عدد غفير من علماء أهل السُنَّة, كما كان يحضر عنده عدد من علماء أهل السَنّة[2].

وهذا أن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية التعاطي العلمي بين علماء المذاهب الإسلامية بالرغم من اختلافهم في بعض الكليات إلا انه لا يؤثر على تجالسهم وتعاونهم ومحبتهم في دينهم ووحدتهم, وقد برز منهم تراث فكري نافع لا زال يفيدنا من جيل إلى جيل.

التعايش والتسامح مع الجار في ضوء القرآن الكريم

ومن مستلزمات التعايش السلمي بين المسلمين وجوب التسامح مع الجار بكونه حلقة وصل مهمة تمثل الأخوة بين المسلمين لا يقل أهمية عن ترابط الأسرة وهو دلالة المسلم على تواضعه واحترامه للآخرين وأولهم الجار, قال تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾[3].

في تفسير الجار ذي القربى (ذو القربى, والجار الجنب) أي الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة[4], فقد أوصى الله سبحانه وتعالى بالجار سواء كان قرباً أم غير قريب بوجوب التسامح والتعايش معه بأحسن حال, وقيل في رواية عائشة أم المؤمنين ان النبي (8) قال: (ما زال جبريل يوصي بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [5].

ويبدو أنه الله ختم الآية الكريمة (**إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**) ان من لم يلتزم من المؤمنين بما أمر الله في حسن التعامل مع ما ورد في الآية ومنهم الجار القربى والجار الجنب فهو متكبر فخورٌ بنفسه, مطرود من رحمة الله

(1) ظ: المصدر نفسه, ص37.
(2) رجال النجاشي, النجاشي, ص31.
(3) سورة النساء: آية 36.
(4) تفسير العياشي, العياشي, ج1, ص268.
(5) صحيح مسلم, مسلم بن الحجاج, باب الوصية بالجار والاحسان إليه, ح 2624.

وان الله لا يحبه, وهذا ان دلّ على شيء فإنما يدل على وجوب التعامل والتعايش والتسامح مع كافة المسلمين ومنهم الجار لما له من أهمية في تماسك المجتمع وقوته, والإسلام دائماً يسعى لبناء مجتمع إسلامي مترابط بعلاقاته وأفراده.

المبحث الثالث: التعايش السلمي والتسامح بين المسلمين وغيرهم

لو تأملنا في القرآن الكريم, الكتاب الذي يُعَدْ دستور المسلمين الإلهي لوجدنا فيه الكثير من النصوص القرآنية التي تدعو إلى التعايش السلمي والتسامح بين المسلمين وغيرهم بل وحفظ حقوق الملل الأخرى ووجوب القسط والعدل والمودة فيما بينهم بشرط ان لا يكون قد قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1], فهنا خطاب من الله تعالى للناس جميعاً من مؤمنين أو مسلمين أو غيرهم إلى ضرورة التعارف والتعايش والتسامح فيما بينهم بشرط ان تكون التقوى هي ميزان التفاضل بينهم, ويشمل الخطاب الناس جميعاً من آدم وحواء من غير فرق بين جنس أو تباين بعرق أو تفاخر بنسب أو غير ذلك[2].

ان التعايش السلمي والتسامح مع الذات والآخرين يشكل قيمة راسخة في النفس الإنسانية عندما تدرك القواسم والقيم المشتركة بين الأديان السماوية, فالإسلام حريص على تقوية العلاقات مع الآخرين وإن كانوا خارج الإسلام, وامرنا بالصفح والعفو عنهم ما لم يتقاتلوا أو يعلنوا العداء للمسلين وإن علمتم بحقدهم فلا تقاتلوا الحقد بالحقد والشر بالشر.

قال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3]

التعايش السلمي بين المسلمين والتسامح بين المسلمين وبقية الشعوب والدول

وهذا النوع من التسامح هو الذي يركز عليه القرآن الكريم في رؤية إسلامية لخريطة العالم العقائدية والسياسية.

(1) سورة الحجرات: آية 13.
(2) ظ: مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص579.
(3) سورة البقرة: آية 109.

ففي مجال العقيدة لم يفرض القرآن العقيدة التي جاء بها على من لم يرغب الدخول فيها, قال تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[1].

الإسلام دين واضح وبيّن ولا يريد من لا يرغب فيه إجباره على العمل به, وقد هيأ القرآن المسلمين نفسياً لقبول التعدد في العقيدة والمذهب بتذكيرهم بقصص القرآن وأخبار الأمم الماضية, قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً**﴾[2], فعلى المسلمين ان لا يصيبهم الإحباط واليأس من أمر الذين لم يتبعوهم ويهتدوا بهديهم إلى الحق[3].

قال تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[4].

فالآية مطلقة ان الله لم ينهى عن أي قوم سواء كانوا يهوداً م نصارى أم صابئة ان لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم قسراً أو تهجيراً ان تبروهم أو تقسطوا اليهم أو تحسنوا جوارهم, فالقرآن هنا يؤكد على وجوب التعايش والتسامح مع غير المسلمين بهذه الشروط.

وقد أسس القرآن الكريم هذا المبدأ من اخلاقيات التسامح والتعايش مع غير المسلمين ان الأمر لم يقتصر على العدل بل يتعدى إلى البرّ والإحسان, قال تعالى: ﴿**عَسَى اللّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللّهُ قَدِيرٌ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[5].

وقد أكد النبي محمد (8) على مبدأ التعايش والتسامح بين المسلمين وغيرهم, وقد وضع الصدقات لغير المسلمين ممن كانوا يعيشون بينهم من أهل الذمّة, وكان يرعى فقراءهم ويحقق مبدأ الضمان الاجتماعي بينهم, وقد أكد هذا جملة من الأصحاب استناداً عما نقل من قول النبي محمد (8): ((على كل كبدٍ حراء أجر)) [6].

---

(1) سورة البقرة: آية 256.
(2) سورة الرعد: آية 31.
(3) ظ: تفسير مجمع البيان, الطبرسي, ج4, ص415.
(4) سورة الممتحنة: آية 8.
(5) سورة الممتحنة: آية 7.
(6) الكافي, الكليني, ج4, ص58 ؛ وسائل الشيعة, الحر العاملي, ج6, ص284 ؛ مستدرك سفينة البحار, الشاهرودي, ج2, ص546.

(وقد ورد في بعض الروايات أن علياً (X) لم يكن ينسب أحد من أهل حربه إلى الشرك أو إلى النفاق ولكنه كان يقول إخواننا بغوا علينا) [1].

وكان (X) يواجههم بالصفح والعفو, وله مقولة مشهورة في العفو عن العدو عند الظفر به إذ قال:((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه))[2].

وقد ذكر في الرواية عن أسماء بنت أبي بكر قالت: (قدمت امي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا, فأتيت إلى النبي (8) فقلت: يا رسول الله ا نامي قدمت وهي راغبة أأصلها؟ قال: نعم: صلي أمكِ) [3], فأمرها النبي الأكرم (8) بصلة أمها وهي ليست على دين الإسلام [4].

ومبدأ التعايش بين المسلمين وغيرهم يقوم على أساس عدم المساس بأصل من أصول الدين من قرآن وسُنّة ونقله لهما, ويكون بعيد عن الكذب والخداع أو المساس بأسس العقيدة التي كل طرف يؤمن بها, على قوله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[5], حتى يستطيع توفير سبل العيش السليم وزرع الألفة والمحبة بين المسلمين وغيرهم[6].

وقد تبلور مبدأ التعايش بين المسلمين وبقية الأديان بما آمن به نبيهم من كتب وأنبياء سبقوه, قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[7].

كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[8].

(1) نظام الحكم في الإسلام, منتظري, ص409.
(2) شرح نهج البلاغة, ابن أبي الحديد, ج11, ص225.
(3) صحيح مسلم, باب تفسير البرد والاثم, ح2553, ط4, 1980م.
(4) ظ: رياض الصالحين, جامع السُنّة وشروحها, يحيى بن شرف النووي, ص300 ؛ ظ: فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي, عبد القادر علي, ص3, ح2 .
(5) سورة الكافرون: آية 6.
(6) ظ: صحيح البخاري, البخاري, ح1316, ص506.
(7) سورة البقرة: آية 285.
(8) سورة المائدة: آية 44.

وقد دلت الآيات الكريمة على أن الإسلام دين يعترف بكل الأديان السماوية الأخرى التي سبقته, وإن نبي الأمة محمد (8) آمن بكل الأنبياء الذين سبقوه, والدين الإسلامي على الرغم من انه خاتم الأديان إلا أنه يؤكد على وجوب احترام الأديان كلها والتعايش السلمي بينهم.

دلالات وجوب التعايش السلمي مع المسلمين وغيرهم من القرآن الكريم

1. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ...**﴾[1].

هنا أمر الله سبحانه بأداء الأمانات بجميع أنواعها من أمور مالية وغيرها من الأمور المعنوية والامر مطلق يجب أداء الأمانة للمسلم وغير المسلم , وهو دليل على تأسيس قواعد المواطنة والعيش بين المسلمين[2].

2. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[3].

هنا أمر الله سبحانه وتعالى بالعدالة وعدم الظلم للأعداء وغير الأعداء, فتطبيق مفهوم العدالة على الجميع دليل على وجوب الحفاظ على العلاقات الأخوية والتوادد مع المسلمين وغير المسلمين.

3. قال تعالى: ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[4].

فهنا الله سبحناه وتعالى يأمر نبيه بالابتعاد عن الخصومة بينه وبين من لم يؤمن بالحق بعدما تبين, وأن الله هو الجامع بيننا يوم القيامة كل بعمله إليه المرجع وإليه المصير[5], وهو أيضاً دعوة صريحة لفتح الحوار مع الأديان الاخرى بذكر الحجة والدليل من غير عنف أو تباغض.

(1) سورة النساء : آية 58 .
(2) ظ: الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, ص256, دار احياء التراث العربي, بيروت – لبنان؛ ظ: مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص111.
(3) سورة المائدة : آية 8 .
(4) سورة الشورى : آية 15 .
(5) ظ: مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص547 ؛ ظ: التفسير الميسر, عبد الله شبر, ص510.

4. قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1].

من دلائل نعم الله وتمامه علينا أنه أحلّ لكم الحلال الطيب وذبائح اليهود والنصارى إن ذكّوها, وذبائحكم حلال لهم, وأحل لكم أيضاً نكاح المحصنات المؤمنات العفيفات من الزنى وكذلك نكاح الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهن مهورهن, وكنتم أعفاء غير موكلين الزنا, وأمنتم من غير التأثير بدينهن, ومن يجحد شرائع الله فقد بطل عمله [2].

ويمكن الاستفادة من الآية الكريمة في الانفتاح على المذاهب والأديان للتعايش السلمي وتقوية الروابط بالتزاوج, لتقوية أواصر المحبة والتعاون بين المسلمين وغيرهم.

المبحث الرابع: أسس التعايش السلمي والتسامح في القرآن الكريم وأثره في المجتمع

إذا أردنا ان نبني مجتمعاً متعافياً متعايشاً سلمياً متسامحاً لابد ان نعتمد على بعض الأسس المهمة, منها:

1. طهارة النفس:

عل كل إنسان مسلم أو غير مسلم مؤمن أو غير مؤمن ان يتحلى بطهارة النفس بعيداً عن الأنانية, وأن تكون نفسه مطمئنة غير قلقة ويحسن الظن بالآخرين. قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ! فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا! قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ! وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[3].

(1) سورة المائدة : آية 5 .
(2) ظ: التفسير الميسر, عبد الله شبر, ص225 ؛ ظ: مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص133.
(3) سورة الشمس : الآيات 7-10 .

ففي سورة الشمس أكثر السور القرآنية التي تكرر بها القسم برب العزة والجلال وكأنه يخبرنا بهذا القسم إن النجاة من النار كان بزكاة النفس وتطهيرها من الغل والحقد والأنانية[1], وبتلك التزكية للنفس نطمأن للعيش والتسامح الخلقي والمحبة للآخرين, قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ! إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[2].

مما تقدم نستطيع القول إن الإيمان يصقل شخصية الإنسان المؤمن فيؤهلها لقبول الحق على حساب الذات, وقد تصل إلى أعلى درجاتها في مقابلة الإساءة بالإحسان وكظم الغيظ.

قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ! الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3].

وتراثنا لا يخلو من هذه الأخلاق في كظم الغيظ والعفو عن الناس, فقد كانت هذه السمة الأساسية لأخلاق أهل البيت (Γ) ومنهم ما نقل عن جارية الإمام علي بن الحسين (X) (فقد كانت تسكب الماء عليه وهو يتوضأ فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه, فرفع علي بن الحسين (X) رأسه, فقالت الجارية: ان الله عزّ وجل يقول: والكاظمين الغيظ, فقال لها: كظمت غيظي, قالت: والعافين عن الناس, قال: عفا الله عنكِ, قالت: والله يحب المحسنين, قال: اذهبي فأنتِ حرة)[4].

بهذا السمو من النفس الطيبة التي تقود إلى الرقي في الخُلُق يمكن ان نصل إلى التعايش والتسامح السلمي بين المسلمين وغيرهم, وما لذلكَ من أثر على الرقي في المجتمع الإنساني والإسلامي الذي يجسده الإنسان بتلك الصفوة من الخلق والنفس الأبية .

وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ! إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[5].

2. حرمة قتل النفس وكرامتها:

(1) ظ: مجمع البيان, الطبرسي, ج6, ص367.
(2) سورة الشعراء : الآيتان 88-89 .
(3) سورة آل عمران : الآيتان 133- 134 .
(4) الامالي , الشيخ الصدوق, ص269.
(5) سورة الشعراء : الآيتان 88-89 .

كل الشرائع السماوية بما في ذلك الإسلام يحرم قتل النفس الإنسانية بغير ذنبٍ أو قصاص ويدعوا إلى كراماتها واحترامها وحفظها, وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾[2].

مما تقدم يظهر جلياً وواضحاً حرمة النفس وكرامتها بما صرحت به الآيات القرآنية وكيف فضَّلها الله عزّ وجل على كل ما خلق وجعل قتلها وهدر كرامتها, كأنما قتل للناس جميعاً وإحياءها إحياء للناس, قال تعالى: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾[3].

في تفسير هذه الآية يذكر عن أبي عبد الله (X) ((أن من قتل نفساً يدخل اشد النار وادٍ في جهنم ليس في جهنم منزلاً أشد منها)) [4].

من هذا نستدل على ان النفس الإنسانية مصونة ومعصومة سواء كانت في دار المسلمين أو غيرهم, والنص القرآني واضح في دلالته وعموم إطلاقه.

وحتى إيذاء النفس أو تعذيبها محرم عند الله عزّ وجل كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً**﴾[5].

مما سبق تبين لنا ان من مقومات العيش والتسامح ان تدرك حرمة قتل النفس وإيذاءها وعقوبة ذلك عند الله سبحانه وتعالى, وأن التأمل في تلك النصوص الدالة على هذا الأمر يجعل النفس الإنسانية محمية من الأذى والقتل, ويمكن عدّه أساساً من مقومات التسامح والتعايش السلمي.

(1) سورة الإسراء : الآية 33.
(2) سورة الإسراء : الآية 90.
(3) سورة المائدة : الآية 32.
(4) ظ: تفسير العياشي, العياشي, ج4, ص342.
(5) سورة الأحزاب : الآية 58.

3. إشاعة ثقافة الإيثار والتسامح عند المسلمين وغيرهم

من اجل ترسيخ ثقافة التسامح والتعايش بين الناس لابد من تربية الأجيال وبثّ روح المحبة إلى مستوى عالي يصل إلى حال الإيثار بينهم, قال تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1].

أبلغ درجات الخلق ان الإنسان يؤثر على نفسه وعلى غيره, وقد أشار القرآن الكريم إلى ثواب ذلك وهو الفوز بالفلاح والرفاه في تمام الكمال في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا العمل الصالح.

وتحمل هذه الثقافة بُعداً تربوياً أخلاقياً يكفل للفرد ذاته وللمجتمع اللاإنساني توازنه وتواده, قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ! أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾[2].

تلك هي صفات المؤمنون, وهذا يعني انهم يتعاملون في حالات التعدد والتنوع, إما بالصبر على البلاء حين يكون المؤمنون بمستوى الأقلية أو بمستوى المرحمة حينما يكونوا في مستوى الحياة والسلطة, وعليهم بالمعاملة الحسنى وكان ثواب ذلك أنهم أصحاب الميمنة على عكس غيرهم ممن وصف عاقبتهم أنهم أصحاب المشئمة[3], فأصحاب الميمنة وهم عباد الله يكونوا يوم الحساب على يمين العرش ممن أُتي كتابه بيمينه[4].

4. التأكيد على مبدأ الضبط الاجتماعي

لتطبيق هذا المبدأ يجب علينا ان نشيع بيننا ثقافة الإحساس بالآخرين, وقد سلك القرآن الكريم باعتباره أكثر الشرائع منهجاً وتطبيقاً في حفظ علاقة الفرد بالمجتمع, قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[5].

(1) سورة الحشر : الآية 9 .
(2) سورة البلد : الآيتان 17-18.
(3) ظ: مختصر تفسير الميزان, الطباطبائي, ص658.
(4) ظ: تفسير ابن كثير, ابن كثير, ج4, ص2-3 ؛ ظ: تفسير الجلالين, السيوطي, ص9.
(5) سورة فصلت : الآية 34.

فقد وضعت الآية أسس التسامح والصفح والتعايش والعفو عن الزلة سواء كانت بقصد أو بغير قصد, وهذا من جملة حسن الأدب والخلق الرفيع, فإن الله تعالى يؤلف بين القلوب ويبثّ بينهم المحبة ليزرع روح التسامح والتعايش[1].

قال تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2], أي بقدرته عزّ وجل ألَّفَ بينهم وجعل المودة والرحمة[3].

وقد شرع الله سبحانه وتعالى العقوبات الصارمة لمن يتهاون بالروابط الاجتماعية وهذا مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية لتحقيق الأمن والأمان ولتحقيق التعايش الأخلاقي بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع, كالقصاص بالقتل, وعقوبة قطع اليد في السرقة, قال تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[4].

وكذلك شرّع عقوبات لحفظ حقوق الآخرين, سواء كانت معنوية أو مادية, كعقوبة الزنى, قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[5].

وقال تعالى في النهي عن أكل المال بالباطل: قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[6].

أي النهي عن أكل الأموال بالباطل كالسرقة والغصب, ولا تدلوا بها إلى الحكام كالرشوة[7].

(1) لطائف الإشارات, القشيري, ج3, ص336.
(2) سورة الانفال : الآية 63.
(3) تفسير الجلالين, السيوطي, ص237.
(4) سورة المائدة : الآية 38.
(5) سورة النور : الآية 2.
(6) سورة البقرة : الآية 188.
(7) ظ: تفسير الجلالين, السيوطي, ص39.

وكذلك حرَّم الشرع السب والشتم والتنقيص والتنابز بالألقاب حفاظاً على روح العلاقات الاجتماعية , قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[1].

فنهى الله سبحانه وتعالى عن السخرية بالناس واحتقارهم من ذكر أو انثى, وقد روي عن رسول الله (8) أنه قال: ((الكبر بطر الحق وغمص الناس)) (أو غمط الناس) أي احتقارهم واستصغارهم فهو حرام, فربما يكون المحتقَر اعظم قدراً عند الله وأحب إليه من الساخر, كما قال تعالى (**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ...**) أي لا تلمزوا الناس, ونهى عن الغمز, قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾[2][3].

هذه أهم الأسس التي لو طبقت بين أبناء المجتمع الواحد لحققت السعادة ونمت روح المحبة والتعاون وأدت إلى التعايش والتسامح الخُلقي فيما بينهم.

ونختم كلامنا بما قاله صاحب نظرية المقاصد في الشريعة: (المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض, وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به)[4].

خاتمة البحث

ونحن في ختام البحث نبين أهم ما توصل إليه البحث:

1. إن الشريعة الإسلامية هي أكثر الشرائع التي أكدت على وجوب التعايش السلمي والتسامح بين البرش وأن القرآن الكريم وما جاء به من نصوص قرآنية ذكرنا بعض خير شاهد على ذلك.
2. الاحترام المتبادل بين الأديان والمذاهب الإسلامية والتبادل الفكري والثقافي كفيل بزرع روح المحبة والتعاون بينهم.
3. العدل والمساواة وحفظ الجوار باعتبارها سمات أساسية تحفظ العلاقات والترابط الاجتماعي وبما له من دور من بثّ روح التعايش بين المسلمين وغيرهم.
4. أكد الإسلام على احترام حقوق الآخرين سواء بين المسلمين أو غيرهم سعياً إلى تحقيق القيم الأخلاقية بين أفراد المجتمع أو المجتمعات الإنسانية بصورة مطلقة.

(1) سورة الحجرات: الآية 11.
(2) سورة الهمزة : الآية 1.
(3) ظ: تفسير ابن كثير, ج4, ص227.
(4) نظرية المقاصد, احمد الريسوني, ص7.

5. تطهير الناس من الأنانية والإيثار عليها ببعد الإنسان عن الحقد الي غالباً ما يؤدي إلى نشوء الطائفية المقيتة التي من شأنها ان تفكك وحدة المسلمين وغيرهم.
6. تأمين المسلمين في ديارهم والابتعاد عن التهجير القسري سواء كان بينهم أو بينهم وبين غيرهم.

التوصيات

1. إشاعة ثقافة التسامح والتعايش السلمي بين مختلف المذاهب والأديان على ما جاء به القرآن الكريم والشريعة الإسلامية السمحاء.
2. ترك العنف والاقتتال الذي يقع مرة بين المسلمين أنفسهم بسبب الطائفية أو بين المسلمين وغيرهم لإفشاء روح التسامح والتعايش في ضوء توجيهات القرآن الكريم.
3. إعادة المنظومة الفكرية الإسلامية وتنقيتها من الشوائب التي ذهبت بها ادراج الرياح وخلق جو فكري ديمقراطي يقوم على أساس العدل والمساواة بضمن حقوق الآخرين بمختلف طوائفهم.
4. الابتعاد عن منهج التكفير الذي سادت عليه بعض المذاهب الإسلامية على الرغم من انهم على دين واحد من شهادة ان لا اله إلا الله محمد رسول الله ويجمعهم كتاب واحد وقبلة واحدة.

Abstract

At the conclusion of the research, we show the most important findings of the research:

1. Islamic law is the most law that affirmed the necessity of peaceful coexistence and tolerance between human beings, and that the Holy Qur'an and the Qur'anic texts that we mentioned mentioned some of the best witnesses to that.
2. Mutual respect between religions, Islamic schools of thought and intellectual and cultural exchanges will guarantee the cultivation of a spirit of love and cooperation between them
3. .Justice, equality, and neighborhood preservation as basic features that preserve social relations and interdependence, and its role that spread the spirit of coexistence between Muslims and others.

4. Islam affirmed respect for the rights of others, whether among Muslims or others, in an attempt to achieve moral values among members of society or human societies in absolute terms.
5. Purging people from selfishness and altruism, by distancing human beings from hatred that often leads to the emergence of hateful sectarianism that would break the unity of Muslims and others.
6. Securing Muslims in their homes and avoiding forced displacement, whether it is between them or between them and others.

Recommendations

1. Spreading a culture of tolerance and peaceful coexistence between different sects and religions, according to the contents of the Noble Qur'an and the noble Islamic Sharia
2. .The violence and fighting that once occurred between the Muslims themselves due to sectarianism or between Muslims and others to leave a spirit of tolerance and coexistence in light of the directives of the Holy Quran.
3. Restore the Islamic intellectual system and purify it from the impurities that went with the incorporation of winds and create a democratic intellectual atmosphere based on justice and equality within the rights of others in their various sects
4. Away from the approach of takfir, which prevailed over some Islamic schools of thought, even though they are on one religion from the testimony that there is no god but God, and Muhammad is the Messenger of God, and they are united by one book and one kiss.

المصادر والمراجع

1. خير ما نبتدأ به القرآن الكريم .
2. الأمالي, أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت381هـ), تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية , مؤسسة البعثة للطباعة والنشر , ط1, قم, 1417هـ.

3. البحر المحيط في أصول الفقه, أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي, دار الكتب العالمية, بيروت – لبنان, 2000م.
4. التسامح المؤشرات المفهوم , عبد الحسين شعبان, مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان.
5. التعريفات, السيد شريف علي بن محمد بن حسين الجرجاني (ت816هـ), دار الاسوة للطباعة والنشر.
6. تفسير ابن كثير, الحافظ عماد الدين أبي الفداء, دار المعرفة للطباعة والنشر, بيروت – لبنان.
7. تفسير الجلالين, جلال الدين السيوطي, دار الفكر, بيروت.
8. تفسير العياشي, ابن نصر محمد بن مسعود , منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, بيروت – لبنان.
9. تفسير القرآن الكريم, عبد الله شبر, طبع ونشر السيد مرتضى الرضوي, ط3, 1966م.
10. تفسير مجمع البيان, أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي, تحقيق: لجنة من العلماء والأخصائيين, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , بيروت – لبنان, 1415هـ-1995م.
11. جامع البيان عن تأويل القرآن, أبي جعفر محمد بن جرير الطبري, دار الفكر للطباعة والنشر, بيروت – لبنان .
12. الجامع لأحكام القرآن, أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي, دار احياء التراث العربي, بيروت – لبنان.
13. دائرة معارف القرن العشرين, فريد وجدي, دار المعرفة, بيروت – لبنان.
14. رياض الصالحين, يحيى بن شرف النووي (ت676هـ), دار الفكر المعاصر, ط2بيروت – لبنان, 1441هـ-1991م.
15. زاد المسير في علم التفسير, أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي (ت597هـ), طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.
16. صحيح البخاري, أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ), تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي, دار القلم, بيروت – لبنان.
17. صحيح مسلم, مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ), الناشر: دار الفكر, بيروت – لبنان.
18. فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي, عبد الله بن حجازي (1227هـ), دار الكتب العالمية, بيروت.

19. لسان العرب, ابن منظور محمد بن مكرم , تحقيق: عامر احمد, طبعة إحياء التراث, دار صادر, بيروت.
20. لطائف الإشارات, تفسير القشيري, عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك, تحقيق: إبراهيم البسيوني, الهيئة المصرية العامة للكتب, ط3, مصر.
21. مختار الصحاح, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي, الناشر: محمد محمد ناصر.
22. مختصر تفسير الميزان, محمد حسين الطباطبائي, اعداد: كمال مصطفى شاكر, منشورات دار الزهراء, 1388هـ.
23. مشروع الوحدة الوطنية, محمد مهدي الآصفي, دار النشر, قم – إيران.
24. المعجم الوسيط, مصطفى محمد, ط1, دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان.
25. معجم علوم القرآن, إبراهيم محمد الجرمي, دار احياء التراث العربي, بيروت.
26. مناهل العرفان في علوم القرآن, محمد بن عبد العظيم الزرقاني, دار الفكر للطباعة والنشر, ط4, 1420هـ-2003م.
27. موجز علوم القرآن, داود العطار, منشورات الاعلمي للمطبوعات, بيروت.
28. الميزان في تفسير القرآن, محمد حسين الطباطبائي, منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, بيروت.
29. نظام الحكم في الإسلام, حسين منتظري, منشورات مرتضى منتظري, قم, 2009م.
30. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي, احمد الريسوني, الدار العالمية للكتب الإسلامية, بيروت.
31. نهج البلاغة, شرح الشيخ محمد عبده, دار الذخائر, ط6, قم – إيران, 1412هـ.
32. وسائل الشيعة, الحر العاملي محمد بن الحسن (ت1104هـ), تحقيق: مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث, بيروت – لبنان.